دو فصلنامه مطالعات ادب اسلامی
دوره اول، شماره دوم، بهار و تابستان ۱۴۰۱

نصف سنوية دراسات الأدب الإسلامي
السنة الأولى، العدد الثاني، ربيع وصيف ۲۰۲۲

الاستراتيجية التواصلية والتداولية في القصص القرآني؛ سورة يوسف أنموذجا

خديجة مرات[1] (قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف۲، الجزائر)

DOI: 10.34785/j022.2022.011

CC BY

تاريخ دريافت: ۱۴۰۰/۰۱/۲۷ تاريخ الوصول: ۲۰۲۱/۰۴/۱۶
تاريخ پذيرش: ۱۴۰۱/۰۴/۱۱ صفحات: ۶۳-۸۱ تاريخ القبـول: ۲۰۲۲/۰۷/۰۲

الملخص

يعدّ الخطاب القرآني رسالة تحمل في داخلها غاية خطابية يوجهها المرسل إلى المرسل إليه لهدف استراتيجي هو التواصل، فالقرآن الكريم رسالة من الله تعالى أنزلها على رسوله محمد (ص) ليبلّغها إلى أمتّه؛ ومن بين ما جاء في تلك الرسالة قصص الأنبياء والمرسلين وما تعرضوا له من قِبَل أممهم، والحجج التي أيّدهم الله بها؛ وذلك لأخذ العبرة والموعظة من الأمم السابقة، هذا ما يستدعي استراتيجية خطابية تواصلية قائمة على السياق وطرفي العملية التواصلية (المتكلم/المتلقي)، وبذلك يكون النص القرآني نصا تداوليا بامتياز، ذلك لأنّ التداولية هي دراسة المنجز اللغوي أثناء الاستعمال؛ أي دراسة اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة باعتبارها كلاما موجها من المخاطِب إلى المتلقي بلفظ محدد في مقام محدد لتحقيق غرض تواصلي. تهدف هذه الدراسة إلى تبيان البعد التواصلي والتداولي في القصص القرآني، باستخدام المقاربة التداولية للخطاب القرآني، والتي تركّز اهتمامها على أمرين هما: الخطاب ضمن السياق الذي ورد فيه، والدور التواصلي الذي يؤديه كلّ من المرسِل والمرسَل إليه أثناء العملية التواصلية، وذلك من خلال رصد آليات المقاربة التداولية "كالحجاج والاستلزام الحواري والأفعال الكلامية والحوار" وغيرها الموجودة في القصص القرآنية، بحيث تسلّط هذه الورقة البحثية الضوء على قصة يوسف، وذلك من خلال السياق الذي يقوم أساسا على الغرض والمقصود الذي يريد المخاطِب إيصاله، إضافة إلى انسجام واتساق الكلام وجريانه على أسلوب واحد، كما يهتم بالظروف المحيطة بالعملية التواصلية وأحوال المخاطبين فيها؛ نجد هذه العناصر مجتمعة في القصص القرآني.

الكلمات الرئيسة: التداولية، الأفعال الكلامية، الحجاج، الحوار، استراتيجية الخطاب، القصص القرآني.

[1] البريد الإلكتروني: khadidjamerat@gmail.com

استراتژی تبادلی و عملگرا در داستان سرایی قرآنی؛ نمونه موردی سوره یوسف

چکیده

گفتمان قرآنی پیامی است که در درون خود هدفی گفتمانی دارد که فرستنده آن را برای هدف راهبردی ارتباط به مخاطب هدایت می کند. قرآن کریم پیامی از جانب خداوند متعال است که بر رسولش محمد(ص) نازل کرده است تا آن را به امت خود برساند؛ از جمله آن چه در قرآن آمده است، داستان انبیا و رسولان و آنچه امت هایشان در معرض آن قرار گرفتند، تا سبب پند پذیری و عبرت آموزی باشد. این امر مستلزم یک راهبرد ارتباطی گفتمانی مبتنی بر زمینه و دو طرف فرآیند ارتباطی (گوینده/گیرنده) است و بنابراین متن قرآن کاملا یک متن عملگرا است، زیرا رویگرد عملگرا به زبان، عبارت است از بررسی کلام در حین ارائه به گیرنده؛ یعنی مطالعه زبان زمانی که در مقامات متفاوت به عنوان یک سخنرانی از مخاطب به گیرنده با عبارتی خاص در مکانی خاص برای رسیدن به هدف ارتباطی استفاده می شود. این پژوهش با هدف تبیین بعد ارتباطی و عملگرا در داستان ها و گفتمان قرآنی به بررسی داستان یوسف پیامبر می‌پردازد و بر دو نکته تمرکز دارد: گفتمان در خلال بافتی که در آن به کار رفته است و تعیین نقش فرستنده و مخاطب در فرآیند ارتباطی، با تکیه بر مکانیزم عملگرایانه در کلام از قبیل: حِجاج، افعال کلامی، گفت‌وگو و سایر موارد موجود در داستان های قرآنی.

واژگان کلیدی: زبانشناسی عملگرا، افعال کلامی، مجادله، گفت‌وگو، استراتژی گفتمان، داستان سرایی قرآنی.

١- المقدّمة

تقوم اللغة من المنظور التدّاولي بوظيفتين رئيسيتين ترتبطان بمقاصد الإنسان الذي يستعملها، وبوضعه الاجتماعي وأهدافه؛ فالناس عندما يتحدثون لايفعلون ذلك لمجرد تحريك أعضاء النطق، ولكن ليؤدّوا من خلال كلامهم هاتين الوظيفيتين؛ وهما: الوظيفة التعاملية والوظيفة التفاعلية (الشهري، ٢٠٠٤: ٤) وتعرّف الوظيفة التعاملية على أنّها ما تقوم به اللغة من نقل ناجح للمعلومات تبرز من خلاله قيمة الاستعمال اللغوي، فيركز المرسل جهده نحو بناء الخطاب ليستطيع المرسل إليه أن يأخذ منه المعلومات الصحيحة والدقيقة. وتساعد هذه الوظيفة على تطوير الثقافات من خلال تناقل المعلومات، وتمكّن من التواصل بين البشر سواء بغرض التوجيه أو التعليم أو غير ذلك. (المصدر نفسه: ٤) أمّا الوظيفة التفاعلية فهي التي يقيم الناس بها علاقاتهم الاجتماعية ويحقّقون لأنفسهم غاياتها، ويتمثل في قدر كبير من المعاملات اليومية التي تحدث بينهم، فقد يقتصر دور اللغة في بعض السياقات على إقامة العلاقات وتثبيتها، وقد يتجاوز إلى التاثير وغيره (المصدر نفسه: ٤) ويكمن دورها الرئيس في التعبير عن المقاصد التي ينويها المتكلّم؛ فاللغة هنا لاتؤدي فقط وظيفة مرجعية تحيل إلى مدلول، بل تؤدي وظيفة تداولية تتفاوت بحسب القصد أو الهدف الذّي من أجله يسوق المتكلّم خطابه (المصدر نفسه: ٥). يقوم الخطاب وفق الوظيفة التداولية على جملة من العناصر هي: (المصدر نفسه: ٦)

المرسل: هو طرف الخطاب الأوّل الموجه إلى الطرف الثاني من أجل إكمال دائرة العملية التخاطبية قصد إفهامه مقاصده والتأثير فيه وبذلك يقوم بمراعاة ما يقتضيه موقعه الاجتماعي والوظيفي عند إعداد خطابه، بناءً على ما يتوافق مع السياق العام الذي يفرض عليه أن يحدد لكلّ غرض آلياته وأدواته اللغوية.

المرسل إليه: وهو الطرف الثاني من الخطاب، بحيث تتجه إليه لغة الخطاب، ويقوم بدور توجيه المرسل إلى اختيار أدوات الخطاب انطلاقا من علاقته السابقة بالمرسل لكونه هو المفسّر والمفكك لشفرات الخطاب ومؤوله.

السياق: وهو الإطار العام الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينها واختيار آليات مناسبة لعمليتي الفهم والإفهام بين طرفي الخطاب.

الخطاب: وهو ثمرة اجتماع العناصر الثلاثة السابقة؛ إذ تبرز فيه الأدوات اللغوية والآليات الخطابية المنتقاة، يسعى الخطاب من خلال الوظيفيتين التعاملية والتفاعلية إلى التعبير عن مقاصد معيّنة وتحقيق أهداف محددّة، لذا فقد تمّ اختيار المقاربة التداولية للدراسة، كونها تهتّم بالنص الخطابي ضمن سياقه

وهو يؤدي دوره التواصلي جامعا بين قطبي العملية التواصلية المرسل والمرسل إليه) أي بعبارة أخرى بين (المخاطِب والمخاطَب)، وتتمثل وظيفة التداولية في: استخلاص العمليات التي تمكّن الكلام من التجذّر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية: المرسل المتلقي الوضعية التبليغية، إنّ أيّ تحميل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق التي تؤول فيه الجملة. (سعاد شابي، ٢٠١٥: ٢٢٠) وتقوم المقاربة التداولية على مجموعة من المستويات التي تحدد الغرض والغاية من القصص القرآني، كما تبيّن استراتيجية التواصل من خلال القصة القرآنية؛ ومن بين تلك المستويات نذكر: مستوى الأفعال الكلامية؛ إذ يتضح من خلالها البعد التواصلي التداولي للقصة القرآنية، إضافة إلى مستوى الحجاج وفيه يبرز دور الإقناع والتأثير، أمّا المستوى الأخير فهو مستوى الحوار؛ وهو مستوى تداولي تواصلي بامتياز، لأنّه يحدث بين طرفي الخطاب.

٢- الإطار المفهومي والمنهجي للدراسة

٢-١- التداولية

يطلق على التداولية مجموعة من التسميات منها: التداوليات، البراغماتية، الوظيفية، السياقية... وكلّها مقابلة لكلمة pragmaticus اليونانية المشتقة من "pragma" وتعني الحركة أو الفعل"action" بيد أنّ مصطلح التداولية يظلّ الأكثر شيوعا واستعمالا بين الباحثين.

الدلالة اللغوية للتداولية: قد جاء في معجم لسان العرب أنّ الدّولة: انقلاب الزمان من حال البؤس والضرّ إلى حال الغبطة والسرور، والدولة العقبة في المال، والدولة في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدولة (ابن منظور، لاتا: ٣٢٧/٥) يتضّح من خلال المفهوم الذي جاء به ابن منظور أنّ التداول مقترن بالتبادل والتحاور، ومنه المداولة يعني تقليب القضية لمعرفة وجوهها المختلفة قبل البت في الأمر؛ وهذا الفعل يقتضي الاستشارة وتبادل الآراء والأخذ بوجهات النظر المختلفة. (جواد ختام، ٢٠١٦: ١٣-١٤)

الدلالة الاصطلاحية للتداولية: عرّف آن ربول وجاك موشلار (Anne Raboul and Jacques Muslar) التداولية على أنّها: "دراسة استعمال اللغة في مقابل دراسة النسق اللغوي، الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاصات اللسانيات، وعندما نتحدث عن استعمال اللغة، فإنّ هذا الاستعمال ليس محايدا، فالإشاريات على سبيل الذكر لايمكن أن تؤوّل إلاّ داخل سياقها اللفظي، كما أنّ الكلمات تدّل في مناسبات كثيرة على معان تفوق ما ننوي التعبير عنه" (المصدر نفسه: ١٥-١٦) وقد

وضّحت آن ربول وجاك موشلار علاقة دراسة النسق ودراسة استعمال النسق بالخطاطة الآتية: (المصدر نفسه: ١٦)

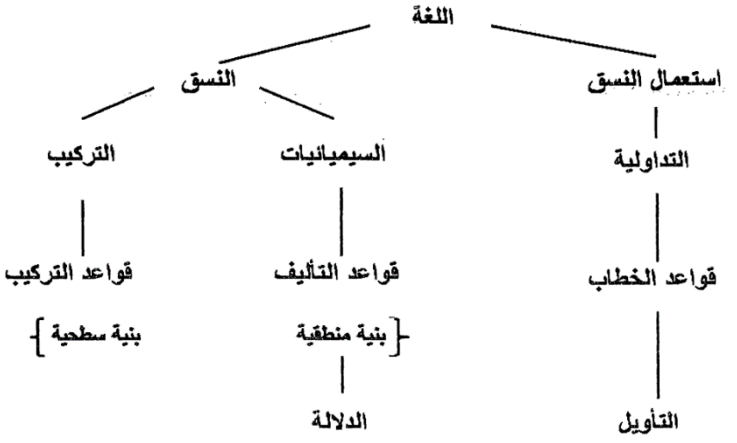

٢-٢- الأفعال الكلامية

يقصد بالفعل الكلامي: "كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي، دلالي، إنجازي وتأثيري وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعال "Actes locutoires" لتحقيق أغراض إنجازية " Actes illocutoires" تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا ومؤسساتيا ومن ثم إنجاز شيء ما" (مسعود صحراوي، ٢٠٠٥: ٢٠). وقد فرّق أوستين بين ثلاثة أنواع من الأفعال المرتبطة بالأداء اللغوي؛ الفعل الفونيتيكي، والفعل الكلامي، والفعل الخطابي؛ حيث يقول: "فأما الفعل الفونيتيكي فهو مجرد التلفظ ببعض الأصوات المقروعة المحمولة في الهواء، أما الفعل الكلامي فهو النطق ببعض الألفاظ والكلمات، أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة متصلة -على نحو ما- بمعجم معين ومرتبطة به ومتماشية معه وخاضعة لنظامه، أما الفعل الخطابي فهو طريقة تأدية الإنجاز وكيفيته باستعمال كل الألفاظ مقرونة إلى حد ما بمعنى ما بالمعنى والمرجع" (جون لانكشو أوستين، ٢٠٠٦: ١٢٤)

ويتميّز الفعل الكلامي الكامل بثلاث خصائص هي (جيوفري ليتش، ٢٠١٢: ٢٥٨): أنه فعل دال، فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات) وأنه فعل تأثري (أي يترك آثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا). ويعدّ السيّاق عنصرا مهّما في تشكيل الدلالة؛ وقد أشار لذلك فان ديك بقوله "السياق عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث، فليس السياق مجرد حالة لفظ وإنما

هو متوالية من أحوال اللفظ، وفضلا على ذلك لا تظل المواقف متماثلة في الزمان وإنما تتغير... وقد يكون اتجاه الأحداث هذا دالا على حالة ابتدائية وأحوال وسطى وحالة نهائية." (فان ديك، ٢٠٠٠: ٣)

وقد قسّم أوستين الأفعال الإنجازية إلى أقوال تقريرية وأقوال إنشائية:

الأقوال التقريرية: وهي الأساليب الخبرية عند العرب ويقصد بها الأقوال التي تحتمل الصدق أو الكذب، بعبارة أخرى هي الأقوال التي يمكن الحكم عليها بالصدق إن طابقت نسبة الكلام فيها الواقع، وبالكذب إن لم تطابق نسبة الكلام فيها الواقع، ومنها: الأقوال الدالة على الثبات، الأفعال الإخبارية، والأفعال الدالة على الحكم.

الأقوال الإنشائية: وهي أقوال لا يقوم المرسل فيها لا بالوصف ولا بالإخبار ولا بالتمثيل، كما أنّها لاتخضع لمعيار الصدق أو الكذب، أي أن ميزتها الأساسية أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع، وقد صنفها سيرل إلى أفعال كلامية مباشرة، وأفعال كلامية غير مباشرة.

الأفعال الكلامية المباشرة: وتتساوى فيها الصيغة مع المحتوى، أي أنّ الأقوال هنا تدل صيغتها على ما تدل عليه هذه الأقوال؛ وهي: الأقوال الاستفهامية، الأقوال الناهية، الأقوال الأمرية، والغرض من هذه الأقوال هو التأثير في المتلقين واقناعهم.

الأفعال الكلامية غير المباشرة: وهي مجموعة الأقوال التي لا تدل صيغتها على ما تدل عليه، كالإستفهام الإنكاري، والتشويق.

٢-٣- استراتيجية الخطاب

يتوخّى المرسِل لتحقيق استراتيجية الخطاب خططا معيّنة لتحقيق مقاصده، وهي ما يطلق عليها استراتيجيات؛ تطّرد هذه الاستراتيجيات بعينها، من خلال أنساق لغويّة وأدوات معيّنة، فتصبح ظاهرة لافتة للنظر، فتكتسب القيمة التي ترشحها لتستحق الدرس والتحليل في نماذج مختلفة من الخطاب، بوصفها اطرادات لغوية تجسدها كفاءة المرسل التداولية في خطابه. وبوصفها ثمرة لسلسلة من الإجراءات الذهنية التي يقوم بها (الشهري، ٢٠٠٤: ٧) ويكون في ذلك كلّه محكوما بتأثيرات كل العناصر السياقية السالفة؛ فيغدو الخطاب عندها علامة على مجموعة من هذه الانتظامات التي تعبّر عن التفكير النظري والإنجاز اللغوي الذي يرى المرسل أنّه الأمثل من بين الإمكانات التي تتيحها اللغة في جميع مستوياتها، وذلك للارتفاع بأداء القول وتحقيق ما يريده في خطابه. (المصدر نفسه)

وتحكم الخطاب مجموعة من المعايير، معيار العلاقة التخاطبية بين أطراف الخطاب التي تتراوح قربا وبعدا، علّوا ودنّوا، وتندرج فيه مجموعة من الاستراتيجيات: كالاستراتيجية التضامنية؛ ويكون فيها طرفا الخطاب من الأقران ويعبّر فيها المرسل بأدوات لغوية كثيرة مثل: الضمير "نحن" الذي يدّل على الجمع بين طرفي الخطاب. والاستراتيجية التوجيهية؛ تتجسد من خلال آليات صريحة تسهم في توجيه المرسل للمرسل إليه باستعمال أدوات الأمر والنهي والتحذير والإغراء... ويبرز هاهنا دور السلطة الاجتماعية وغير الاجتماعية في إعطائها المرسل نفوذا يمارسه من خلال الأدوات اللغوية (المصدر نفسه).

ويعدّ معيار دلالة الشكل هو المعيار الثاني لتصنيف استراتيجيات الخطاب؛ وقد يكون قصدا مباشرا أي واضحا من خلال الخطاب، وقد يكون غير مباشر وهاهنا يكون المعنى مستلزما من شكل الخطاب، وبالتالي يصبح شكلا يستلزم قصدا غير المعنى الذي يدل عليه ظاهر القول أو الكلام، فالمرسل هنا يستخدم شكلا ما بقصد تبطين مقاصده مما يستدعي تدّخل السياق لفك شفرات الخطاب ويسمّى هذا الضرب من الاستراتيجيات، بالاستراتيجية التلميحية؛ إذ يستخدم المرسل فيها مثلا أساليب الاستفهام الذي لايقصد منه السائل أن يسأل عن مجهول وإنما الخروج عن ذلك إلى مقصد آخر مثل الالتماس، ومن آليت الاستراتيجية التلميحية "الاستلزام الحواري" وكافة أنواع المجاز. (المصدر نفسه: ٨)

وقد يتوخى المرسل استراتيجيات تحقق أهدافا تتناسب مع صنف آخر له بدوره أهداف ومقاصد أخرى، أي إنّ ظاهر الخطاب الشكلي لم يعد دليلا كافيا لتصنيفه، وهذا ما يجعل الاستراتيجية إطارا عاما ملائما للتصنيف ينضوي تحته أكثر من صنف من أصناف الخطاب، وبحيث يمكن إعادة تصنيف أشكال الخطاب حسب الاستراتيجية إلى خطاب إقناعي، أو تلميحي، أو مباشر (المصدر نفسه: ٩) هذا فيما يخصّ المرسل، ولا يمكن إغفال دور وأهمية المرسل إليه الذي يمارس معه المرسل فعله الخطابي، فمن خلال النظر إلى العنصر السياقي نستطيع التمييز نوع استراتيجية الخطاب؛ تضامنية أم توجيهية، بحيث يقوم بفرض الغرض من الخطاب بأسلوب مباشر بواسطة أدوات لغوية مباشرة. (المصدر نفسه)

۲-٤- الحجاج

يعرّف الحجاج على أنّه "جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلّم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع

الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية" (محمد العبد: ٢٠٠٢م: ٤٤/٦٠) إن تحديد مفهوم الحجاج يختلف وتعريفه يتنوع، ولا غرابة في ذلك البحث واسع والعوامل التي تساهم في إنتاج الحجاج عديدة ومتراكمة، ويضع له دارسوه محددين أساسيين اثنين (كورنيلا، ٢٠٠٣م: ١٣).

الحجاج خطاب إقناعي: أي هدفه التاثير في المتلقي إما لتدعيم موقفه، وإما لتغيير رأيه وتبني موقف جديد، سواء كان هذا الموقف يقتصر على الاقتناع الذاتي أو يقتضي فعلا ما؛ إذن، المحدد الأول ينطلق من وظيفة الحجاج، وليس من شكله اللغوي أو محتواه الخطابي، لأنه يمكن أن يتواجد مع الوصف أو مع السرد أو مع الشعر أو غيرها.

الحجاج قابل للتقييم الأخلاقي (وإن كانت مقاييس هذا التقييم تمثل في ذاتها إشكالية): أي أنه يوجد نوع من الاتفاق على وجود حجاج "حقيقي" وحجاج "مزيف" (ويقال أيضا: حجاج سفسطائي)، ولكن الصعوبة تتمثل في وضع المقاييس للتمييز بين ماهو من صنف المغالطة وما هو من صنف الحجاج السليم. يتنوع الحجاج في القرآن الكريم بين ذكر الحجة والنتيجة الآيات القرآنية والحجاج بالاستفهام، النفي، الحصر، النداء، والحجاج بالصورة البيانية: الاستعارة الحجاجية، التشبيه. (شابي، لاتا: ٩١)

٢-٥- القصص القرآني

تعرّف القصة على أنّها "وسيلة من وسائل التعبير عن طريق سرد ومتابعة الآثار، والتنقيب عن أحداث وقعت في الزمن الغابر نساها الناس، أو غفلوا عنها لتقدم الزمن، وفيها تماسك سردي بين أجزائها كما يجب أن تكون لها بداية ونهاية، والغاية منها لفت النظر إليها لتكون عبرة وعظة للناس (صابر مشيل، ٢٠٠٩: ١١/٤٦) قال تعالى: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب وماكان حديثا يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**﴾ (سورة يوسف/١١١). أمّا القصة القرآنية فهي أنباء وأخبار تاريخية عن أحداث وقعت في القرون والأزمنة الماضية، كما تشمل النبوءات السابقة خلال المسيرة الإنسانية منذ بدء الخليقة، وحتى نزول القرآن الكريم من خلال عرض مشوق مثير لا نظير له في الأساليب العربية المعهودة. (المصدر نفسه: ٤٧- ٤٨)

٣- الاستراتيجية التواصلية والتداولية في سورة يوسف

٣-١- التعريف بسورة يوسف

الاسم الوحيد لهذه السورة هو "يوسف": ووجه تسميتها ظاهر لأنها قصت قصة يوسف عليه السلام كلها، ولم تذكر قصته في غيرها، ولم يذكر اسمه في غيرها إلا في سورة الأنعام، وغافر، وفي هذا الاسم تميز لها من بين السور المفتتحة بحروف (الر) (ابن عاشور، ١٩٧٦: ١٩٧/١٢) وهي إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء، وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله "يوسف بن يعقوب"، وما لاقاه عليه السلام من أنواع البلاء، ومن ضروب المحن والشدائد من إخوته ومن الآخرين، في بيت عزيز مصر، وفي السجن وفي تآمر النسوة حتى نجاه الله من ذلك الضيق، والمقصود بها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بما مر عليه من الكرب والشدة، وما لاقاه من أذى القريب والبعيد (الصابوني، لاتا: ٣٥/٢).

٣-٢- الأفعال الكلامية في سورة يوسف

أعاد سيرل تقسيم الأفعال الكلامية، واقترح خمسة أصناف هي:

١) **الأخبار**: «**assersifs**» تبلغ خبرا، وهي تمثيل للواقع وتسمّى أيضا: التأكيدات، الأفعال الحكمية.

٢) **الأوامر**: «**directifs**» تحمل المخاطب على فعل معيّن.

٣) **التصريحات**: «**expressif**» وهي الأفعال التمرسيّة عند أوستين، وتعبّر عن حالة، مع شروط صدقها.

٤) **الإنجازيات**: «**declarations**» (الإدلاءات): تكون حين التلفّظ ذاته (خليفة بوجادي، ٢٠٠٩: ٩٩)

هذا وقد وضع اثني عشرة مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي، منها: غاية الفعل، توجيهه، حالته السيكولوجية... وسمّاها شروط النجاح.وهي تستند كثيرا إلى قوانين المحادثة عند جرايس (Grace)، ووسّع مفهوم الفعل الإنجازي ليتجاوز ارتباطه بالمتكلم إلى العرف الاجتماعي اللغوي، وجعل للقوة الإنجازية أدّلة عايها:"تقديم، تأخير، نبر، تنغيم، علامات ترقيم. (المصدر نفسه: ١٠٠) يحمل القرآن الكريم في طيّاته لغة تأثيرية، ومقاصد ضمنية، لا تفهم إلاّ من السياق؛ هذا الأخير الذي تقوم نظرية الأفعال الكلامية بتحليله وتفكيكه، وتعدّ سورة يوسف أحد سور القرآن التي تتجلّى فيها تمظهرات الأفعال الكلامية، والقوة الإنجازية، ويظهر ذلك من خلال ما سيأتي ذكره من تحليل ووصف.

٣-٣- استراتيجية الأفعال التوجيهية الأمرية

تعرّف هذه الأفعال على أنها محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل تصرّفه متلائما مع المحتوى الخبري للتوجيه، فكلّ توجيه هو تعبير عن رغبة أن يقوم المستمع بالفعل الموّجه له. وتتجسّد التوجيهات في الأوامر والنواهي والطلبات والتمّني والنصح (جون سيرل، ٢٠٠٦: ٢١٨). ومن شروط هذه الأفعال التوجيهية (الأمرية) قدرة المتلقي على القيام بالفعل الموجه له من قِبل المتكلّم؛ ذلك لأنّ الفعل التوجيهي هدفه توجيه المرسل إليه إلى فعل شيء ما، ويحاول المرسِل تحقيق هذا الهدف بدرجات مختلفة تتراوح بين"اللين والإغراء والاقتراح أو النصح" وبين العنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل الشيء، ويشترط فيها أن يكون مقتضى الأمر مستقبلا وأن يكون المطلوب منه قادرا على الإنجاز." (يوسف نجعوم، ٢٠١٨: ٢٢٢) بحيث ينطوي تحت لواء هذا الصنف كلّ من الأمر والاستفهام والرجاء، والاستعطاف، والتشجيع والدعوة والنصح... وقد أضاف أوستين مجموعة من الأفعال الأخرى كأفعال السلوك وأفعال القرارات (محمود أحمد نحلة، ٢٠٠٢: ٧٩) إنّ سورة يوسف والتي هي موضوع الدراسة والتحليل قد تنوّعت فيها القوى الإنجازية بين الأفعال التوجيهية المباشرة وغير المباشرة وهذا ما سيتّم توضيحه فيما يأتي.

٣-٤- استراتيجية الأفعال التوجيهية المباشرة

جاءت هذه الأفعال بقوى إنجازية مختلفة، بحيث وردت بصيغة الأمر والنهي والرجاء وقد احتل الأمر المرتبة الأولى من حيث الورود، سواء أكان مباشرا أم غير مباشر، ومن بين الآيات التي ورد فيها الأمر بنوعيه المباشر وغير المباشر ما يلي:

الأمر: تتفق كتب المدوّنات البلاغية على أنّ الأمر هو طلب حصول الشيء استعلاءً، أي أن يكون الآمر أعلى درجة من المأمور، وقد ورد الأمر في سورة يوسف في مواضع عديدة منها: قال الله تعالى: "**أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنّا له لحافظون**" (سورة يوسف/ ١٢). وكذلك في قوله تعالى على لسان عزيز مصر حين قال لامرأته: "**وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه**" (سورة يوسف/ ٢١). وجاء الفعل التوجيهي كذلك في قوله تعالى أيضا على لسان عزيز مصر: "**يوسف أعرض عن هذا**" (سورة يوسف/ ٢٩). وورد الأمر كذلك في قوله تعالى على لسان الفتيان لسيدنا يوسف عليه السلام: "**نبّئنا بتأويله إنّا نراك من المحسنين**" (سورة يوسف/ ٣٦). في حين جاء الأمر على لسان سيدنا يوسف في أمره للفتى النّاجي في قوله تعالى: "**أذكرني عند ربّك**" (سورة يوسف/ ٤٢). وورد في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف:

"**فأرسل معنا أخانا نكتل وإنّا له لحافظون**" (سورة يوسف/ ٦٣)، ثمّ على لسان أبناء يعقوب لأخيهم يوسف في قوله تعالى: "**فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا**" (سورة يوسف/ ٨٨). إنّ هذه الآيات التي تمّ عرضها وردت فيها صيغة الأمر للطلب والعرض.

النهي: يصاغ النهي بالفعل المضارع + حرف النهي "لا"، وهو نوع من الطلب كذلك، إذ يعرّف عند البلاغيين على أنّه طلب الكفّ عن فعل الشيء ستعلاءً. وقد ورد في سورة يوسف في قوله تعالى: "**لا تقتلوا يوسف**" (سورة يوسف/ ١٠). وهاهنا لم يحدث فعل القتل ليوسف من قِبل إخوته بل رموه في الجبّ.

الرجاء: يعرّف الرجاء في اصطلاح البلاغيين على أنّه ما يُطلب فيه أمر ممكن أو مُنتظَر الحدوث، ويكون عادة مسبوقا بـ: "لعلّ وعسى" وورد في سورة يوسف في قوله تعالى على لسان عزيز مصر: "**عسى أن ينفعنا**" (سورة يوسف/ ٢١).

٣-٥- استراتيجية الأفعال التوجيهية غير المباشرة

وردت الأفعال التوجيهية غير المباشرة في سورة يوسف مختلفة من حيث القوى الإنجازية، وتراوحت بين استفهام وأمر ونهي ونداء.

الاستفهام: يعرّف الاستفهام على أنّه: "طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من أدواته وهي: الهمزة، هل، من، متى، أيّان، وأين، وأنّى وكيف، وكم، وأيّ" (المراغي، ١٩٩٣: ٦٣). وقد ورد الاستفهام في سورة يوسف استفهاما غير مباشر، خرج إلى أغراض أخرى، وذلك في قوله تعالى على لسان سيّدنا يوسف عندما سأل الفتيين اللذين كانا معه في السجن: "**ياصاحبي السجن أأرباب متفرقّون خير أمِ الله الواحد القهّار**" (سورة يوسف/ ٣٩). والغرض الذي خرج إليه الاستفهام هاهنا هو الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبودية له، وهو الرسالة التي جاء من أجلها كلّ الأنبياء والرسل وهان دعوة ونصح على ترك عبارة الأصنام المتعددة والانصياع لأوامر الله تعالى وحده لا شريك له. كما ورد في قوله تعالى: "**هل ءامنُكم عليه إلاّ كما أمنتكم على أخيه من قبلُ**" (سورة يوسف/ ٦٤). ويبدو هنا أنّ الاستفهام غير حقيقي يُنتظر منه جوابا أو ردّا، بل هو لوم وعتاب لإخوة يوسف من قِبل أبيهم وتذكيرهم بفعلتهم مع أخيهم يوسف من قبل، بعدما ائتمنهم عليه وتركه يذهب معهم.

الأمر: ذكرنا سابقا الأمر التوجيهي المباشر، وهاهنا نتطرق إلى الأمر غير المباشر، وقد ورد في سورة يوسف في مواضع مختلفة وآيات عديدة منها قوله تعالى: "**أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا**" (سورة

يوسف/ ٩)، والغرض منه هاهنا التخيير. كذلك في قوله تعالى: "**فخذ أحدنا مكانه**" (سورة يوسف/ ٧٨). وهنا يبدو خروج الأمر من صيغته الحقيقية إلى غرض الرجاء، بحيث ترجوا أبناء يعقوب أخاهم يوسف أن يأخذ أحدا غير أخيه الذي اختاره حتى لا يحزن أباهم ثانية بعد حزنه الطويل على يوسف. وجاء الأمر بغرض الدعاء في قوله تعالى على لسان سيّدنا يوسف: "**توّفني مسلما وألحقني بالصالحين**" (سورة يوسف/ ١٠١).

النهي: ورد النهي في سورة يوسف بغرض النصح والإرشاد في نصح سيدّنا يعقوب لأبنائه بالتفرّق وأخذ كلّ عوامل الحيطة والحذر عند دخولها إلى مصر، في قوله تعالى:"**لاتدخلوا من باب واحدٍ**" (سورة يوسف/ ٨٧).

٣-٦- استراتيجية الأفعال الإخبارية التقريرية

يعرّف سيرل الأفعال الإخبارية بأنّها: "التعهّد للمستمع بحقيقة الخبر، فهي أن نقدّم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم... وشرط الصدق في الإثباتيات هو دائما الاعتقاد فكلّ إثبات هو تعبير عن اعتقاد" (جون سيرل: ٢١٧) وكما هو معلوم أن الأفعال الإخبارية يشترط فيها مطابقةالكلام للواقع، وقد وردت هذه الأفعال في سورة يوسف مباشرة وغير مباشرة.

٣-٧- استراتيجية الأفعال الإخبارية المباشرة

وردت في سورة يوسف مجموعة من الأفعال الإخبارية المباشرة، مع تنوّع القوى الإنجازية بين التأكيد والبرهان... ومن أمثلة التأكيد قوله تعالى "**وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**" (سورة يوسف/ ١٥). في هذه الآية الكريمة تأكيد على أنّ الله تعالى أوحى إلى سيّدنا يوسف ماينوي إخوته فعله، أي أوحى إليه أنّهم سيقومون بإلقائه في الجبّ، وكذلك في قوله تعالى: "**إنّي لأجد ريح يوسف**" (سورة يوسف/ ٩٤). في الآية الكريمة تأكيد من سيّدنا يعقوب لأهل قريته أنّه يشّم رائحة يوسف، وقد أكّد سيّدنا كلامه بحرف التوكيد "إنّ" و"لام التوكيد" لإثبات صحة كلامه الذي قام أهله بالتفنيد والرفض والتكذيب.

الملاحظ أنّ كلّ الآيات السابق ذكرها تحقق فيها المحتوى القضوي وشرط الإخلاص، ومن الأفعال الإخبارية المباشرة التي وردت في سورة يوسف "تقديم الحقائق" وذلك كقوله تعالى: "**لمّا بلغ أشدّه آتيناه حكما وعلما**" (سورة يوسف/ ٢٢). في هذه الآية الكريمة تقديم لحقيقة نبوة سيّدنا يوسف عليه السلام

واعتراف بفضل الله عز وجلّ عليه، فقد أتاه الله حكمة وعلّمه تأويل الرؤيا والأحلام، كذلك في قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب: "**وما أغني عنكم من الله من شيء**" (سورة يوسف/ ٦٧)، تنبئ هذه الآية الكريمة إلى تيّقن سيّدنا يعقوب عليه السلام أنّ الحكم لله وحده وأنه لا يغني عن أبنائه شيئا، وهاهنا تحقق شرط المحتوى القضوي متمثلا في الإخلاص لله. أمّا في قوله تعالى: "**وشهد شاهد مِّن أهلها**" (سورة يوسف/ ٢٦)، فهنا تقديم برهان على براءة يوسف من الاتهام الموجّه إليه، إذ شهد شاهد من أهل زوجة عزيز مصر أن القميص قُدّ من الخلف.

٣-٨- استراتيجية الأفعال الإخبارية غير المباشرة

وردت الأفعال الإخبارية بأسلوب غير مباشر في موضعين وبقوتين إنجازيتين مختلفتين، الأولى اعتقاد والثانية تأكيد. الاعتقاد: ورد الاعتقاد هاهنا بصيغة الدعاء، وذلك في قوله تعالى: "**قَالَ رَبِّ ٱلسِّجنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يدَعُونَنِي إِلِيه**" (سورة يوسف/ ٣٣)، وهاهنا تمثل الاعتقاد في يقين سيدنا يوسف أن ما طلب منه فاحشة وأمر مريب، لذا فقد اختار السجن رغم ظروفه القاسية وعوامله السيئة، بدل ارتكاب الفاحشة. والتأكيد: وتمثّل هاهنا في صيغة القسم في قوله تعالى "**قَالُوا تالله لَقَدَ عَلِمتمُ مَّا جِئنَا لنِفُسِدَ فِي الأَرَضِ وَمَا كُنَّا سارقِينَ**" (سورة يوسف/ ٧٣)، فقد أكّد إخوة يوسف براءتهم من تهمة السرقة المنسوبة إليهم.

٣-٩- الأفعال التعبيرية

وعرّفها سيرل بقوله: "هي التعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي والنماذج على التعبيريات هي الاعتذارات والتشكرات والتهاني... والمحتوى الخبري في التعبيريات من الناحية النمطية ليس له اتجاه ملاءمة، لأن حقيقة المحتوى الخبري يسلّم بها فحسب... وشرط الصدق في التعبيريات يتغير بتغيّر نمط التعبير فالاعتذار مثلا يكون صادقا إذا كان المتكلم يشعر بالأسف فعلا عمّا يعتذر عليه" (المصدر نفسه: ٢١٩) وقد تنوعت الأفعال التعبيرية في سورة يوسف بين المباشرة وغير المباشرة.

الف- استراتيجية الأفعال التعبيرية المباشرة: وتمثّلت في بعض المشاعر والأحاسيس النفسية، منها الغيرة والحسد التي ألمت بأبناء يعقوب من أخيهم يوسف لما أحسوه من ميل وحبّ من أبيهم اتجاههم بحيث يقول تعالى: "**إِذ قَالُواْ لَيوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنحَنُ عُصبةَ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلَ مُّبِينٍ**" (سورة يوسف/ ٨). كذلك يمثّل كلّ من الفرح والبشرى الأفعال التعبيرية المباشرة وقد وردت هنا في

فرح السيّارة التي وجدت يوسف في البئر وذلك في قوله تعالى:" **قال يابشرى هذا غلام**" (سورة يوسف/ ١٩). ينتمي الغضب والانفعال كذلك إلى الأفعال التعبيرية المباشرة وتجسدت هاهنا في قوله تعالى:"**فأسّرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم**" (سورة يوسف/ ٧٧)، إنّ انفعال يوسف وغضبه كان ردّة فعل من ادعاء إخوته واتهامهم له بالسرقة. ويعدّ الحزن كذلك جزء من الأفعال التعبيرية المباشرة، وقد جاء في سورة يوسف في قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب: "**وتوّلى عنهم وقال ياأسفي على يوسف وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم**" (سورة يوسف/ ٨٤)، وفي هذه الآية الكريمة تجسيد لحالة سيدنا يعقوب لحزنه الشديد على فقْد يوسف.

ب– استراتيجية الأفعال التعبيرية غير المباشرة: وقد وردت في موضعين بصيغة واحدة وهي "الأمر" بقوتين إنجازيتين مختلفين الأولى اعتذار، والثانية تأنيب وعتاب، فالاعتذار جاء موضعه في قوله عزّ وجلّ: "**يُوسُفُ أعَرِض عَن هذا**" (سورة يوسف/ ٢٩). إنّ الاعتذار هنا في هذه الآية الكريمة التماس من عزيز مصر ليوسف عليه السلام من فعل امرأته، أمّا العتاب فجاء في قوله تعالى على لسان عزيز مصر: "**وَاستغفِرِي لذنبكِ إنكِّ كُنتِ مِنَ ٱلخَاطِئِينَ**" (سورة يوسف/ ٢٩)، حيث طلب هنا عزيز مصر من زوجته التوبة والاستغفار.

٣–١٠– استراتيجية الأفعال الإلزامية (الوعدية)

يعرّف الإلزام على أنّه "تعهّد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل الممثل في محتوى الخبري وتتوفر نماذج الإلزاميات في المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات (المصدر نفسه: ٢١٨) تقوم الأفعال الالتزامية والتوجيهية على مبدأ أنّ اتجاه المطابقة في كليهما واحدٌ وما يمنع من جعلهما فعلا واحدا سببان هما: الأوّل هو أنّ المرجع في الالتزاميات هو المتكلّم أمّا في التوجيهيات فهو المخاطب، والثاني أنّ المتكلم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامعّين وفي التوجيهات يحاول التأثيرفيه." (محمود أحمد نحلة، ٢٠٠٢: ٧٩)

الف– استراتيجية الأفعال الإلزامية المباشرة: تنوعت في هذا الصنف القوى الإنجازية بين الرفض والوعد والإنذار... وقد جاء غرض الوعد في قوله تعالى على لسان أبناء يعقوب عليه السلام: "**وإنّا له لحافظون**" (سورة يوسف/١٢). حيث أنّ إخوة يوسف وعدوا أباهم بّأن يحفظا أخاهم، وأن لا يخاف عليه فهو في حمايتهم. أمّا الرفض فتجسد في ترفع سيدنا يوسف عليه السلام عن طلب زوجة عزيز مصر لعفافه وعفته حيث يقول تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: "**قال معاذ الله**" (سورة

يوسف/٢٣) وقد جاء الإنذار في قوله تعالى: "**فإن لم تأتوني به فلاكيل لكم عندي ولاتقربون**" (سورة يوسف/٦٠)، وفي هذه الآية الكريمة ينذر سيدنا يوسف إخوته إن لم يأتوا بأخيهم فلن يكيل لهم من الحنطة.

ب- استراتيجية الأفعال الإلزامية غير المباشرة: ورد الأمر هنا ضمنيا في قول امرأة العزيز ليوسف عليه السلام: (هيت لك). وبقوة إنجازية هي "الترغيب" أي ترغيب امرأة العزيز يوسفَ عليه السلام في فعل الفاحشة ومراودتها له، قال عزّ وجلّ: "**وَراوَدَته ٱلَّتِي هو فِي بيتها عَن نفَّسِه وَغَلَّقَتِ ٱلأبَوابَ وَقَالَت هيت لَكَ**" (سورة يوسف/ ٢٣).

٣-١١- استراتيجية الأفعال الإعلانية (الإيقاعية)

تعرّف الأفعال الإعلانية على أنّها: "إحداث تغيير في العالم بتمثيله وكأنّه قد تغيّر، فتخلق الأفعال الأدائية حالة فقط من خلال تمثيله وكأنّه قد تغيّر؛ وخير مثال على ذلك قول أحدهم: (أنا أستقيل). (جون سيرل، ٢٠٠٦: ٢١٩)

الف- استراتيجية الأفعال الإعلانية المباشرة: تنوعت القوى الإنجازية للأفعال الإعلانية في سورة يوسف فمنها ماورد للقرار كقوله تعالى: "**وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجبّ**" (سورة يوسف/ ١٥)، وهنا يتجسد قرار أبناء يعقوب حول إلقاء أخيهم يوسف في الجبّ بدلا من قتله. وهناك ما دلّت على التقييم والتثمين، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: "**وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين**" (سورة يوسف/ ٢٠)، وهنا في هذه الآية الكريمة اشترى الراحلة يوسف عليه السلام بثمن بخس وذلك لأنّ اخوة يوسف قرروا التخلص منه بأيّ ثمن.

ب) استراتيجية الأفعال الإعلانية غير المباشرة: جاءت الأفعال الإعلانية غير المباشرة في سورة يوسف بصيغتي الأمر والنداء وبقوتين إنجازيتين هما الاقتراح والاتهام، فالاقتراح في الرأي الذي جاء به ابن يعقوب وهو أن يلقوا يوسف في البئر حيث يقول تعالى:"**ألقوه في غيابات الجبّ يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين**" (سورة يوسف/ ١٥). أمّا الاتهام فورد في اتهام يوسف لإخوته بالسرقة في قوله تعالى:"**أيتها العير إنّكم لسارقون**" (سورة يوسف/ ٧٠).

٣-١٢- الحوار في سورة يوسف

معلوم أنّ الحوار هو نوع من الحديث القائم بين شخصين، بحيث: "يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب بشرط وحدة الموضوع، أو الهدف، فيتبدلان النقاش حول أمر معين، وقد

يصلان إلى نتيجة وقد لا يقنع أحدهما الآخر ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه وقفا" (سعاد شابي، ٢٠١٥: ٩١) ويعدّ القرآن الكريم وثيقة رائعة من وثائق الحوار الديني الذي يتعلق بكل قضايا العقيدة ابتداء من فكرة وجود الله ووحدانيته إلى الأحكام الشرعية" (المصدر نفسه: ١٠١) وقد انبنى الخطاب السردي في سورة يوسف على الحوار الذي هدفه التواصل والإقناع بوحدانية الله وحق عبادته، ويتجلى هذا فيما يلي:

١- حوار يوسف عليه السلام مع أبيه.

٢- حوار إخوة يوسف مع أبيهم.

٣- حوار السيّارة الذين اشتروا يوسف.

٤- حوار يوسف مع امرأة العزيز.

٥- حوار يوسف مع عزيز مصر.

٦- حوار يوسف مع صاحبي السجن.

٧- حوار يوسف مع إخوته.

وعلى سبيل المثال حوار يوسف مع صاحبي السجن يبرز جليا مقصد «الدعوة إلى الله»، حيث اعتصم النبي يوسف، عليه السلام، في حواره مع الفتيين بصفات جعلته المثل الكامل لهما وللبشرية كافة، إذ لم يشرع بعرض دعوته إلا بعدما أحسن الاستماع إليهما وهما يعرضان عليه رؤياهما؛ ليكون أكثر تأثيرا فيهما بأخلاقه وأدبه، وتدرج، عليه السلام، في دعوته وألزمهم الحجة؛ بأن بين لهم رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة المتعددة، ثم برهن على أن ما يسمونه آلهة ويعبدونه من دون الله لا يستحق العبودية والألوهية، ثم نص على عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد، وذلك من الأسلوب الحكيم في الدعوة إلى الله، حيث قدم الهداية والإشادة والنصيحة والموعظة، ثم شرع في تفسير رؤياهما بعد ذلك.

٣-١٣- الحجاج في سورة يوسف

افتتح الخطاب القرآني بمقطوعة فاتحة تتركب من الأحرف المتقطعة المشكلة، ومن جملة قرآنية تنجز حجيته، وتثبت سمات البيان والصدق في آياته، وفي إشاراته السردية التي تتحين عبر إحالات زمنية ومكانية متنقلة، فقص علينا قصة يوسف ذات المؤشرات المنجزة في ظروف تاريخية معينة كانت مسوغا لإنتاجها التلفظي، وأعيدت صياغتها في السياق التنزيلي من حيث سماتها الاتصالية والسردية ومساراتها الحجاجية الموجهة. اتصل يوسف بابيه يعقوب واخبره بمؤشرات رؤياه المنجزة لفعل الحدث المرتقب، وأجابه يعقوب بالامتناع عن إخبار إخوته بقصة الرؤيا، وتعبيرها لهم، لأنه يملك كفاءة تأويل

الرؤى الصادقة في ظروفها المؤشر عليها بواسطة قرائنها. وقدأحاط يعقوب بقصدية ذات يوسف المتلفظة، حيث اختاره الله تعالى وملكه القدرة التواصلية المتعلقة بالسيرورة التاويلية للنسق الاشاري الذي ينسجم حالة تفسيره مع إحالات ظرفية وجودية، ومقامات نفسية واجتماعية (غمشي بن عمر، ٢٠١١: ٢٢٠).

وفي موضع آخر تبرز الحجاجية لدى يوسف عندما "هيأت امرأة العزيز الظرف المكاني المناسب لإنجاز الاتصال الجنسي مع يوسف، فغلقت أبواب بيتها إغلاقا شديدا مبالغا فيه، واغتنمت سياق زوجها الزمني الغيابي، فطلبت منه إشباع رغبتها الجنسية الطائشة بتلفظها لصيغ أدائية تتمثل في حدود مراودته، ومعاكسته والتحرش به، ولكنه رفض طلبها ولم يصغ لخطاب رغبتها الشهوانية، وأنجز فعل الشكر لله الذي أحسن مثواه، وأعطاه كفاءة الحكم والعلم التي تقويه في الانتصار على الخصم، وتعويض افتقاره السردي وأعانه على التعفف واجتناب الوقوع في الزنا برؤيته لبرهان حجاجي صرف عنه الضر والمنكر. وذكر الله تعالى مقوما حجاجيا يختص به يوسف: بأنه من العباد المخلصين، فأنجز بذلك معطى الوفاء والالتزام ونبذ الخيانة، وأنه "كان ما أتاه الله سبحانه من آداب الأنبياء، وأخلاق الأصفياء، في العفاف، وصيانة النفس عن الأدناس" (المصدر نفسه: ٢٢٣).

هذا وقد استعمل يوسف أسلوب الإقناع لتبليغ رسالة التوحيد مسبقا، فأنجز أفعالا تلفظية تتمثل في فعل الاتفاق على الإصغاء لهما فسمع رؤيتهما، وفعل إنجاز الوعد بتأويل رؤيتهما قبل موعد إتيان الطعام المحدد، ولما وفرا له كذلك حسن الإصغاء لإنجاح اتصاله الجواري، أبدى لهما مبدأ التعاون التخاطبي، وابتدأ رسالته بإخبارهم أن ملكته التأويلية استمدها من قدرة الله – تعالى – المعرفية المطلقة، ثم درج إلى نبذ عبادة الفاعلين في إدخاله السجن ظلما، ثم ذكرهم باتباعه لملة آبائه الأولين المرتبطة بعدم الشرك والشكر لله تعالى ثم عرض عليهما الاستدلال بقياس (الخلف) بتقديم أطروحة كاذبة (أرباب متفرقون) وعرض نقيضها (الله الواحد القهار) الأطروحة الصادقة (المصدر نفسه: ٢٢٦).

٤– النتيجة

نصل إلى ختام الدراسة وذلك بعد عرض الاستراتيجية التواصلية والتداولية في قصة سيدنا يوسف من أفعال كلامية وحوار وحجاج، لينتهي بنا المطاف إلى استعراض أهّم النتائج وهي كما يلي:

تعدّ القصة في الخطاب القرآني وسيلة للإقناع والتأثير؛ إذ يستخدم الدّليل والحجة في شكل قصة، ويأخذ صورته من واقع الحياة وحوادثها، لذا فإنّ القصص القرآني هو أحد الأساليب التي حملها القرآن

ليحاجّ بها الناس. إنّ دور أفعال الكلام؛ الخبري منها والإنشائي في سورة يوسف، كان حجاجيا بالدرجة الأولى، يهدف إلى الإقناع وهي: أفعال الكلام في جوهرها تقنيات حجاجية توافرت عليها السورة، إمّا في مواضع الحوار بين الشخصيات، أو في الخطاب القرآني العام في السورة، وهذا يعدّ من الآليات الاستراتيجية الإقناعية في القرآن. ظهر الحجاج في سورة يوسف كفعل لغوي مركّب تتظافر شروطه ومنطوقاته للدفاع عن الدعوى المعروضة على المتلقين، وهذا ما يتجلّى في دفاع سيدنا يوسف –عليه السلام– عن الدعوة إلى الله في حواره مع السجينين، للوصول إلى إقناعهما بصدق دعواه وهي الإيمان بالله وتوحيده. تنوعت الأفعال الكلامية في سورة يوسف عليه السلام بين التوجيهية والإخبارية والتعبيرية والإعلانية والالتزامية، وتعدّ الأفعال التوجيهية (الأمرية) والإخبارية (التقريرية) هي الأكثر حضورا في السورة. إنّ الأفعال الكلامية المباشرة قد غلبت على الأفعال الكلامية غير المباشرة؛ لأنّ هذه الأخيرة فيها تحليل وتفسير من طرف المخاطَب، أمّا الأولى فيلقيها المخاطِب دون تعليل وقد جاء خطاب السورة القرآنية في مواقف لا تحتاج إلى تفكير.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن عاشور، الطاهر. (١٩٧٦). *تفسير التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (لا تا). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر للنشر.

أحمد مصطفى المراغي. (لا تا). *علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)*. بيروت: دار الكتب العلمية.

أوستين، جون لانكشو. (٢٠٠٦). *نظرية أفعال الكلام العامة* (ترجمة: عبدالقادر قنيني). المغرب: منشورات إفريقيا الشرق.

بوجادي، خليفة. (٢٠٠٩). *في اللسانيات التداولية: محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم*. الجزائر: بيت الحكمة، العلمية.

ختام، جواد. (٢٠١٦). *التداولية: أصولها واتجاهاتها*. عمان، الأردن: دار كنوز المعرفة.

سيرل، جون. (٢٠٠٦). *العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي* (ترجمة: سعيد الغانمي). بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم.

شابي، سعاد. (٢٠١٥). الأفعال الكلامية والأفعال الحجاجية في سورة النمل: مقاربة تداولية. *مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار – الجزائر*، العدد الثامن.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (٢٠٠٤). *استراتيجية الخطاب: مقاربة لغوية تداولية*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحد.

الصابوني، محمد علي. (لا تا). *صفوة التفاسير*. بيروت: دار الجيل.

صحراوي، مسعود. (٢٠٠٥). *التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي*. بيروت: دار الطليعة.

غمشي، بن عمر. (٢٠١١). *سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الديني: قصص الأنبياء في القرآن الكريم نموذجا* (أطروحة الدكتوراه). جامعة الجزائر ٣.

فانديك. (٢٠٠٠). *النص والسياق* (ترجمة: عبدالقادر قنيني). المغرب: دار إفريقيا الشرق.

كورنيلا فونراد، صكومي. (٢٠٠٣). *الحجاج في المقام المدرسي*. تونس: منشورات كلية الآداب.

ليتش، جيوفري. (٢٠١٢). *مبادئ التداولية* (ترجمة: عبدالقادر قنيني). المغرب: منشورات إفريقيا الشرق.

محمد العبد. (٢٠٠٢). النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع. *مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، مصر*، ٦٠.

مشيل، صابر. (٢٠٠٩). القصة القرآنية: مفهوما وأسلوبا. *المجلة الجامعة، ليبيا*، ١١.

نجعوم، يوسف. (٢٠١٨). *تداولية الخطاب الإقناعي في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب* (أطروحة الدكتوراه). جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي.

نحلة، محمود أحمد. (٢٠٠٢). *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.